

## اغْتصاب العذراء والعار في مسرحية ايون - يوريبنديس

يناقش هذا البحث جريمة اغتصاب الفتيات العذارى وما له من تأثيرات سلبية اجتماعية ونفسية على ضحايا هذه الجريمة: الفتاة المغتصبة وطفلها السفاح، وهذا بسبب نظرة المجتمع السيئة لهما. وتعرض مسرحية ايون جريمة اغتصاب الإله أبوللون للفتاة كريوسا، ولكن بالرغم من أن المغتصب "إله" إلا أن يوريبنديس عرض لنا هذه المشكلة بصورة تمس حياة البشر حيث ركز على التأثيرات السلبية لهذه الجريمة على نفسية الفتاة المغتصبة ونسلها السفاح، من خجل وعار، قهر وصمت، نل وخوف، غضب وانفجار. وجاء اختيار موضوع العار مع موضوع الاغتصاب مناسباً لقدرة يوريبنديس في استخدام مشاعر الخجل (*αἰδώς*) مع الأخلاقيات الجنسية والجنس، ليكشف دور الخجل وقيمه بوصفه قوة للأحداث الدرامية. فالخجل (*αἰδώς*) يرافق التعقل (*σωφροσύνη*) ويشتمل على مستويات الإخلاص والاحتشام، والفشل في إتباعهما يجلب العار (*αἰσχρόν*).

### مصطلحات الاغتصاب

بداية غُبر عن الاغتصاب في هذه المسرحية بمصطلحات وتعابير عديدة مثل: *ἔξευξεν γάμοις βίαι* (يعقد علاقة زوجية بعنف، الأبيات ١٠-١١، ٩٤٩)، *ἡνκάσθη εὐνάζω* (البيت ١٧)، *συνεζύγη* (البيت ٣٤٣)، *παρθένους βίαι γαμῶν προδίδωσι* (الأبيات ٤٣٧-٤٣٨)، *πικρῶν γάμων* (علاقة زوجية مريرة، البيت ٥٠٦)، *βιαιῶν γάμων* (زواج عنيف، البيت ٤٤٥)، *σκοτίας εὐνάς* (علاقة خفية - علاقة تمت في الظلام، البيت ٨٦٠ وما يليه)، *ἀναιδεῖαι ... πράσσω* (ممارسة جنسية بدون خجل، الأبيات ٨٩٥-٨٩٦)، *δύστηνον γάμον* (زواج بائس، البيت ٩٤١)، *κρυπτόμενον λέχος ἡνκάσθη* (مضاجعة على فراش خفي، البيت ١٤٨٤)، *κρυπτὸς γάμος* (علاقة زوجية في الخفاء، البيت ١٥٢٤).

أما العار وما يتبعه من خجل، فقد غُبر عنه بالمصطلحات التالية: *αἰδοῦς* (البيت ٣٣٦)، *αἰδούμεθα* (البيت ٣٣٦)، *αἰσχύνομαι* (الأبيات ٣٤١، ٣٦٧، ٩٣٤)، *οἶον οἶον ἀνελέγχομαι* (البيت ١٤٧١)، *αἰσχρόν* (البيت ١٥٢٦).

ويرافق الخجل من عار الاغتصاب مصطلحات تدل على الصمت والإخفاء والسر، سواء من الضحية: *ἀγνώς* (البيت ١٤)، *λαθραῖον* (البيت ٤٥)، *σιγῶ* (البيت ٢٥٧)، *κρυπτόν* (البيت ٣٣٤)، *λάθραι* (البيت ٣٤٠)، *κρυπτα* (البيت ٣٩٦)، *κρυπτοῖσιν* (البيت ٤٣٠)، *σιωπασθαί ... σιγῶς* (البيت ٤٣٢)، *σιγάσω* (البيت ٨٥٩)، *σκοτίας* (البيت ٨٦٠)، *κρυφαῖαν ... λάθραι* (البيت ٨٧٤)، *κρύψω* (الأبيات ٨٦٨-٨٦٩)، *σιγῶσα ... σιγῶσα* (البيت ٩٤٤)، *ἐξέκλεψας* (البيت ٩٤٦)، *λανθάνειν* (البيت ٩٥٧)، *κρυπτόμενον* (البيت ١٤٨٤)، *κρύφιον* (البيت ١٤٨٧)، *ἐκρυπτον ... λάθραι* (البيت ١٥٤٤)، أو من مرتكب جريمة الاغتصاب: *κρυπτοί* (البيت ٧٢)، *λάθραι* (البيت ٣٥٧)، *λαθεῖν* (البيت ٣٦٥)، *λάθραι* (البيت ٤٣٨)، *διασιωπήσας* (البيت ١٥٦٦). ويدل هذا التكرار في المصطلحات على سرية هذه العلاقة بسبب العار الذي يرافقها.

## عنف الاغتصاب

يحدثنا الإله هرميس في بداية المسرحية عن كيفية الاغتصاب ومكانه (الآيات ١٠-١٤)؛ فقد اعتدى فوبيوس بالقوة على كريوسا في علاقة جنسية عنيفة (*βίαι ἐξευξεν γάμοις*، الآيات ١٠-١١)، وهذا في ظلال سفح تل بالاس في أرض الأثينيين (*Παλλάδος ὑπ' ὄχθωι τῆς*، البيت ١٢)، ودون أن يعرف والدها (*αγνώως πατρί*، البيت ١٤)، وتلك كانت رغبة الإله (*τῶι θεῶι γὰρ ἦν φίλον*)، البيت ١٤<sup>(١)</sup>. وهكذا فقد تمت الجريمة عن عمد من المغتصب، فقد اختار مكانا بعيدا عن أنظار الناس ليتم علاقه في الخفاء وبدون إرادة والد المعتدى عليها، وقد اتسمت هذه العلاقة الجنسية بالعنف؛ فالتعبيرات (*ἀγνώως πατρί, ὑπ' ὄχθωι, βίαι* تقوى مفهوم عنف الاغتصاب وتعده<sup>(٢)</sup>).

ونجد تأكيدا آخر على عنف اغتصاب كريوسا في كلمات أيون عندما يتعجب من أن فوبيوس يغتصب العذاري بالقوة (*παρθένους βίαι γαμῶν προδίδωσι*؛ الآيات ٤٣٧-٤٣٨)، فقد جاءت هذه العلاقة الجنسية بصورة غير شرعية واتسمت بالعنف مع فتاة عذراء؛ فيصفها الكورس بأنها علاقة زوجية مريرة (*πικρῶν γάμων*، البيت ٥٠٦) جعلت العذراء تعيسة (*παρθένος μελέα*، البيت ٥٠٤<sup>(٣)</sup>).

(١) عن ترجمة نصوص مسرحية أيون، انظر: عبد المعطى شعراوى: يوريبديدس- أيون. مراجعة: أحمد عثمان، المسرح العالمى، العدد ١٨١، وزارة الإعلام، الكويت (١٩٨٤).

(٢) عن عنف الاغتصاب، قارن أيضا: اغتصاب أباس لكاسندرا بالعنف: الطرواديات، البيت ٧٠:

οἶδ' ἤνικ' Αἴας εἴλκε Κασσάνδραν βίαι.

γαμεῖ βιαίως σκότιον Ἀγαμέμνος.

زواج أجاممنون لكاسندرا بالقوة: الطرواديات، البيت ٤٤:

وعن اغتصاب الطرواديات بالقوة، انظر:

R. Rehm, *Marriage to Death: the Conflation of Wedding and Funeral Rituals in Greek Tragedy* (New Jersey 1994), pp. 31, 135, 210 n. 4. P. G. Mason, "Kassandra" (JHS. vol. 79 (1959) 80-93).

وعن الاغتصاب بصفة عامة في الألب اليوناني القديم، انظر:

S. Deacy & K. F. Pierce, *Rape in Antiquity* (London 1997); F. Zeitlin, 'Configurations of Rape in Greek Myth' in S. Tomaselli & R. Porter (edd.), *Rape* (Oxford 1986), 122-151; A. Scafuro 'Discourse of Sexual Violation in Mythic Accounts and Dramatic Versions of the "Girls' Tragedy"', *Differences* 2.1 (1990), 126-159; M. Lefkowitz, 'Seduction and Rape in Greek Myth', in A. E. Laiou (ed.), *Consent The Semiology of Rape 2 3 and Coercion to Sex and Marriage in Ancient and Medieval Societies* (Washington D. C. 1993), 17-37; A. Stewart, 'Rape?' in E. D. Reeder (ed), *Pandora. Women in Classical Greece* (Princeton 1995), 74-90; R. Omitowoju, *The Language and Politics of Rape: Forensic and Dramatic Perspectives in Classical Athens*, Ph. D. (Cambridge 1996). E.D. Karakantza, "The Semiology of Rape: The Meeting of Odysseus and Nausikaa in Book 6 of the *Odyssey*" (Classics Ireland, Vol. 10 (2003) 8-26). T. Harrison, 'Herodotus and the Ancient Greek Idea of Rape', in S. Deacy and K. Pearce (edd.), *Violence and Power* (London, 1996).

(٣) يؤكد C. Wolff (C. Wolff 1965, p. 176.) ("The Design and Myth in Euripides' Ion", C Ph 69. 1965, p. 176.) أن العنف كان واضحا في

رواية المسرحية من البداية، حيث يغتصب أبوللون كريوسا بالقوة (*βίαι*، الآيات ١١، ٤٣٧، ٨٩٢). انظر:

A. P. Burnett, "Human Resistance and Divine Persuasion in Euripides' Ion" (CPh 57 n. 2 1962), p. 90. S. G. Cole, "Greek Sanctions against Sexual Assault", (C Ph, vol. 79 no. 2 1984), p. 106.

وعن الإساءة والعنف الجنسي في المجتمع الأثيني القديم بصفة عامة، انظر:

D. Cohen, *Law, Violence and Community in Classical Athens* (Cambridge University Press 1955), pp. 143-182.

وتوضح كوريوس بنفسها تفاصيل اغتصابها، وتبدأ كلماتها بأنها سوف تكشف عن سبب شكوتها (μομφα) في ضوء النهار (ἀνγὰν ἀνδράσω)، في إشارة إلى كشف فضيحة أبوللون معها (الأبيات ٨٨٥-٨٨٦)، فقد جاءها أبوللون بخصلات شعره الذهبية χρυσῶι ἤλθες μοι (χάιταν μαρμαίρων) البيت ٨٨٧ وما يليه<sup>(١)</sup>، وهي تجمع الأزهار، وأمسك برسغ يديها البيضاء (λευκοῖς δ' ἐμφύς καρποῖσιν χειρῶν) (الأبيات ٨٩١-٨٩٢) واقتادها إلى الفراش داخل الكهف (εἰς ἀντροῦ κοίτας، البيت ٨٩٢)<sup>(٢)</sup>، عندئذ صرخت عاليا (κραυγαῖν) البيت ٨٩٣) تستجد بأماها من هذا العشيق الإلهي (Ὡ μᾶτέρ μ' ἀνδῶσαν θεός ὁμεινέτας) البيت ٨٩٣ وما يليه) الذي يمارس نشوة حب كويريس بدون خجل (ἀναιδεῖαι ... πράσσωι) (البيت ٨٩٥-٨٩٦)<sup>(٣)</sup>، وبعد تلك أنجبت المسكينة منه طفلا (τίκτω δ' αὖ δύστανός σοι κούροι) (الأبيات ٨٩٧-٨٩٨)، ويسبب خوفها من أمها (φρίκαι ματρός) (البيت ٨٩٨)، ألغته في نفس المكان الذي ضاجعها فيه أبوللون على سرير تعيس (ἐν λέχεσιν μελέοις) (البيت ٩٠٠)، لتقرسه الطيور الجارحة. يوضح التكرار، في تعبيرات الصراخ والبؤس وعدم الحياء، مدى غف الاغتصاب وتأثيراته السلبية على الضحية<sup>(٤)</sup>، وتصف كوريوس عملية اغتصابها بالصراع الرهيب (ἀγῶνα δεινόν) (البيت ٩٣٩)، وعندما يسألها المربى عن نوع هذا الصراع الرهيب، ترد عليه إن

(١) يعلق Wolff (180 p. "The Design and Myth in Euripides' Ion"، أن مشهد الاغتصاب في مسرحية ايون قد غُطى بالذهب الإلهي.

(٢) يصرح J. Larue (132 p. "Creusa's Monody: Ion 859-922" TAPA 94. 1963، أن أبوللون استخدم قوته المقدسة لاغتصاب كوريوس.

(٣) يؤكد Burnett (96 p. Human Resistance and Divine Persuasion in Euripides' Ion، أنه لا يوجد تعبير عن الاغتصاب أقيح من كلمات كوريوس ἀναιδεῖαι πράσσωι (البيت ٨٩٥ وما يليه).

(٤) يصرح A. P. Burnett (1970، Euripides Ion. transl. & comm. Greek Drama Series. Englewood Cliffs N. J. 86 p.) بوجود تشابه بين صراخ كوريوس عند اغتصابها واستجاءها بأماها وصراخ برسيفوني عندما اغتصابها من هاديس واستجذت بزيوس (27-21 Hom. H. Dem. 21-27). ويدعم Larue (132 p. "Creusa's Monody: Ion 859-922"، أن أبوللون ليس أفضل من هاديس الذي اغتصب برسيفوني عندما كانت تجمع الأزهار أيضا (Met. 391-398). انظر أيضا: E. Hoffer, "Violence, Culture, and the Workings of Ideology in Euripides' Ion" (Cl Ant 15 n. 2 1996), p. 301.

وعن اغتصاب هاديس لبرسيفوني، انظر:

B. Lincoln, "The Rape of Persephone", A Greek Scenario of Women's Initiation (H T R vol. 72, no. 3/4 (1979) 223-235).

وبخصوص البيت ٨٩٦، يعلق Wolff (178 p. "The Design and Myth in Euripides' Ion"، أن اغتصاب أبوللون لكوريوس جاء بوصفه معروفا لأفروديتي، مثلما أنقذ هرميس الطفل ايون ليقدم جميلا لأخيه أبوللون (البيت ٣٦ وما يليه). انظر:

V. J. Rosivach, "Earthborns and Olympians: The Parodos of the Ion (CQ n.s. 27 n. 2 1977), p. 293.

(٥) يعتبر Rehm (39-40 pp. Marriage to Death، اغتصاب كوريوس وزواجها المرير مثل الموت ويضع هذا النموذج من الزواج ضمن النماذج الذي يستعين بها في كتابه "زواج إلى الموت". وعن النماذج الأخرى، انظر:

R. Rehm, Marriage to Death, pp. 40 (Persephone), 46 (Philomela), 47, 135 (Kassandra), 75-76 (Deianeira), 77 (Iole).

فويبوس تقابل معها في علاقة زوجية رغم إرادتها ووصفت هذه العلاقة بأنها زواج بائس (δύστηνον γάμον)، البيت (٩٤١)؛ تعبيرا عن عدم رضاها عن هذه العلاقة وعنف المغتصب معها.<sup>(١)</sup>

وتحدد كريوسا توقيت جريمة الاغتصاب في حديثها؛ حيث تصف اغتصابها بأنه علاقة جنسية تمت في الظلام (εὐνὰς σκοτίας)، البيت ٨٦٠ وما يليه)، وبالإضافة أن المصطلح σκοτία يشير إلى توقيت وقوع الجريمة، إلا أنه يرمز أيضا إلى عدم شرعية هذه العلاقة الزوجية حيث أنه تمت بعدم رضا الفتاة وأهلها، حيث إنها لم تتم في ضوء الزيجات الشرعية. وهذا ما تؤكد كريوسا أيضا، عندما تكشف لايون عن حقيقة نسبه، وتصرح أنه جاء نتيجة علاقة مع فويبوس على فراش في الخفاء (κρυπτόμενον λέχος ἠνυάσθη)، البيت (١٤٨٤).

#### الحالة النفسية لضحية الاغتصاب [الخوف من العار - الجريمة]

سيطر الخوف على نفسية كريوسا بعد اغتصابها؛ وهذا بسبب عار الفضيحة الذي ينتظرها في وقت عندما تتكشف الحقيقة. واستمر هذا الخوف معها ولكنه زاد عندما تحرك طفل الخطيئة في أحشائها، وهنا يصف مشاعرها الإله هرميس بأنها كانت تشعر بعبء ثقيل في رحمها (γαστρός διήνεγκ' ὄγκον)، البيت (١٥)، وبعد أن تلده في منزلها - حسب كلمات الإله هرميس - يدفعها خوفا من العار إلى حمله لنفس الكهف الذي اغتصبت فيه (ἐς ταύτον ἄντρον οὐπερ ἠνυάσθη)، البيت (١٧) لتتركه يموت (κάκτίθησιν ὡς θανούμενοι)، البيت (١٨)<sup>(٢)</sup>، في سلة مستديرة ومجوفة (κοίλης ἐν ἀντίπηγος εὐτρόχῳ κύκλῳ)، البيت (١٩).<sup>(٣)</sup> وهكذا يدفعها من عار الفضيحة

(١) (١٧٧) Wolff ("The Design and Myth in Euripides' Ion", p. 177) أن كريوسا عانت من أبوللون ضد رغبتها (البيت ٩٤١). انظر: D. J. Mastronarde, "Iconography and Euripides' Ion" (C Ant 8 1975), p. 168.

(٢) غير عن إلقاء الأطفال في العراء بالفعل (ἐκτίθημι): (البيت ١٨) أو بالفعل (ἐκβάλλω): (البيت ١٤٩٦)، ويعني التخلص من طفل حديث الولادة، وكان الطفل يلقي في العراء إما بسبب عيوب خلقية أو بسبب الشك في نسبه أو خوفا من العار مثلما في هذه المسرحية. وقد يُمنح الطفل فرصة للحياة مرة أخرى عندما يأخذه زوجان عاقران، مثل أوديبوس - عند سوفوكليس - الذي رياه الملك بوليبيوس والملكة ميروبي وأصبح أميرا. أو يعثر عليه أحد الرعاة ويربيه رغم فقره، وعندما يكبر يبيعه مقابل تربيته له، وهكذا يصبح عبدا. أو يُرمى أمام معبد ويربيه كهنة هذا المعبد، فيصبح خادما لهذا المعبد مثلما الحال مع بطل هذه المسرحية. وأحيانا كانت تلقى الأم طفلها في العراء بنفسها أو تقوم المريضة بذلك. وقد أشار يوريبديدس في مسرحياته إلى إلقاء الأطفال في العراء قد يكون بسبب نقادى نبوءة أو حلم تنيد بخطر ميلاد هذا الطفل على أسرته، مثلما في مسرحية الكسندروس، حيث ألقى برياموس بطفله باريس في العراء بسبب حلم زوجته أنها ستجذب طفلا يثر الحروب (Alex. Frag. 9. vv. 4-5). وفي مسرحية الفينيقيات، يلقي ملك طيبة طفله أوديبوس في العراء ليتفادى نبوءة تنذر أن ميلاد هذا الطفل سيدمر نسل لايوس بأكمله (الأبيات ١٧-٢٠).

عن موضوع ترك الأطفال في العراء عند يوريبديدس، انظر:

M. Huys, *The Tale of the Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy: A Study of Motifs* (Leuven University Press 1995). A.P. Burnett, *Catastrophe Survived Euripides' Plays of Mixed Reversal* (1971), p. 123. A. Cameron, "The Exposure of Children and Greek Ethics", (CR 46 1932), pp. 105-114. E. Donald, "The Problem of Female Infanticide in Greco-Roman World", (CPh 75 1980), pp. 112 ff. G. Patterson, "Not Worth the Rearing. The Cause of Infant Exposure in Ancient Greece", (TAPA 115 1985), pp. 103-123. Mastronarde, "Iconography and Euripides' Ion", p. 168.

(٣) تشير الكلمة (ἀντίπηγος) في البيت ١٩ إلى سلة لحمل الطفل حديث الولادة، وهي مستديرة وعميقة ولها غطاء. عن هذا الموضوع، انظر:

R. S. Young, "ANTIPHES: A Note on the Ion of Euripides" (Hesperia 10 n. 2 1941 138-142)

إلى ارتكاب جريمة أخرى بترك رضيعها للموت، والتعبير 'γαστρος διηνεγκ' ὄγκον' كناية عن العبء الثقيل الذي يمثله طفل الخطيئة بالنسبة للأم المغتصبة الذي يدفعها للتخلص منه. وقد يشير التخلص من طفل السفاح، في مكان الاغتصاب نفسه (الكهف (ἀντρον)، إلى رغبة الأم في تطهير مكان الاغتصاب بدم ثمرة هذه الجريمة: طفل الخطيئة، فهذا قد يجعلها تشعر بالارتياح النفسي، وربما أيضا لأملها أن ينقذ الأب أبوللون ابنه من الموت<sup>(١)</sup>.

وفي حوارها مع ابنها ايون، تروى كريبوسا كيف أساءت إليه وشرعت في ارتكاب جريمة ضده، وتؤكد أن الدافع وراء ذلك كان الخوف (الأبيات ١٤٨٩-١٤٩٩). فبسبب الخوف أن تعرف والدتها بفضيحتها، لفته بالملابس العنبرية (παρθένια σπάργαν') البيت ١٤٨٩ وما يليه)، ولم ترضعه لبنها (γάλακτι δ' οὐκ ἐπέσχον) البيت ١٤٩٢، ولم تعطه ثديها (οὐσέ μαστῶι τροφεῖα) البيت ١٤٩٢ وما يليه)، ولم تغسله بيديها (οὐσέ λουτρά χειροῖν) البيت ١٤٩٣، وألقته في كهف مهجور (ἀντρον ἐρημον) البيت ١٤٩٤ فريسة للطيور الجارحة وعرضا للموت (Αἶδαν ἐκβάλληι) البيت ١٤٩٦. وعندما يسألها ايون عن دافعها لهذا العمل، تجيبه أن الخوف (ἐν φόβῳ) البيت ١٤٩٧ هو الدافع الذي تمكن منها وجعلها تحاول أن تزهق روحه (ἀπέβαλον ψυχάιν) البيت ١٤٩٨، فقد عزمت على قتله رغما عن إرادتها (ἐκτεινά σ' ἄκουσα) البيت ١٤٩٩. وهكذا كان الدافع النفسي للأم هو الخوف من عار الفضيحة الذي حوّلها إلى وحش يحاول قتل طفله، لتتفادى العار أمام أسرته والمجتمع<sup>(٢)</sup>.

#### غلق العين، الدموع، القلق، الحزن، الآلام

وبوضح لنا ايون جوانب من الحالة النفسية لضحية الاغتصاب كريبوسا في بداية ظهورها (الأبيات ٢٤١-٢٤٦)، فبينما ينتاب الجميع السرور بوجودهم في معبد الإله، تغلق كريبوسا عيناها (ὄμμα συγκλήισα) البيت ٢٤١، وتبتل وجنتاها النبيلة بالدموع (δακρύοις θ' ὑγράνας' εὐγενῇ παρηίδα) البيت ٢٤٢، وتتصرف دائما في قلق (μερίμνης) البيت ٢٤٤، وتمتلئ عيناها بالدموع (ὄμμα δακρυρροεῖ) البيت ٢٤٦. تدل التعبيرات السابقة على حالة الخجل التي تعيشها كريبوسا فهي لا تستطيع أن تنظر إلى الناس بعين مفتوحة ودائما ينتابها القلق والحزن وتمتلئ عينيها بالدموع<sup>(٣)</sup>.

(١) يدعم (Huys) *The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, p. 170) إن إلقاء كريبوسا للطفل، في نفس مكان اغتصاب أبوللون لها، يعد عملا يعبر عن يأس كريبوسا بقدر ما يعبر أيضا عن آخر أمل لها لإيقاظ طفلها؛ إنه اتهام بقدر ما كان استجارة، فهي تلقى المسؤولية على أبوللون وأعماله الطائشة، وهذا يهيئ الجو بصورة مناسبة للصراع النفسي الكبير لكريبوسا. وعن مكان إلقاء الأطفال بصفة عامة في تراجيديا يوريبديدس، وفي مسرحية ايون بصفة خاصة، انظر:

Huys, *The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, pp. 162-197, (esp. *Ion*) pp. 168-177.

(٢) بخصوص الأبيات ١٤٩٧-١٤٩٨ عن الخوف بوصفه دافعا لكريبوسا لتعرض ايون للموت، يعلق (Huys) *The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, p. 96) إن هذه الأبيات ربما لا تشير إلى الخوف من والدتها بقدر ما تشير إلى الرعب المنطقي والهلع المصاحب لإلقاء الطفل في العراء.

(٣) يصرح (Huys) *The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, p. 101) إن يوريبديدس يركز على نفسية الأنثى ضحية الاغتصاب. وعن أحاسيس كريبوسا ومشاعرها بوصفها ضحية اغتصاب عنيف، انظر: Hoffer, *Violence in Euripides' Ion*, pp. 304-305.

وتوضح كريوسا معاناتها لايون عندما تصرح أنها عانت مثلما عانت والدته  
(البيت ٣٣٠). فقد قاست الأحوال (πέπονθέ τις σῆι μητρὶ ταύτ' ἄλλη γυνή)  
(البيت ٣٤٢)، وعانت من الآلام ومن قدرها التعيس (πέπονθεν ἄθλια)  
(البيت ٣٦٨). ويصف الكورس كريوسا بعد اغتصابها بأنها عذراء تعيسة  
(البيت ٥٠٤)، حيث أنجبت طفلا لفويوس تركته ذبيحة للطيور والحيوانات، بوصفه  
خطيئة لعلاقة زوجية مريّة (πικρῶν γάμων ὕβρις) (البيت ٥٠٦).

وتصف كريوسا عملية ولادتها بأنها كانت محزنة جدا، حيث صاحبها الدموع الكثيرة (τόκους  
(البيت ٨٦٩)، وربما يشير التعبير "τόκους πολυκλαύτους" إلى آلام الولادة، ولكنه  
يرمز أيضا إلى الحالة النفسية السيئة لكريوسا أثناء إنجاب طفلها؛ فهي أذرفت دموعا كثيرة؛ حيث تعلم أنها تلد  
طفلا سفاحا ثمة علاقة غير شرعية، وسيجلب لها هذا الطفل عار الفضيحة. فعلى عكس سعادة المرأة التى تتجب  
من زيجة شرعية، تشعر المرأة المغتصبة بمرارة إنجابها طفل يجلب لها العار<sup>(١)</sup>.

وعندما يسألها المربى عن مكان ولادتها وهل تحملت آلام الولادة وحدها دون مساعدة  
(البيت ٩٤٨)، ترد كريوسا عليه بالإيجاب؛ فقد  
أنجبت وحدها فى نفس الكهف الذى اغتصبت فيه (ποῦ; τίς λοχεύει σ'; ἡ μόνη μοχθεῖς τάδε;)  
(البيت ٩٤٩). وتكرار الصفة "μόνη" مع الفعل "μοχθεῖς" (الأبيات ٩٤٨، ٩٤٩) يوضح كيف تتحمل  
ضحية الاغتصاب آلام الولادة وحيدة بعيدا عن أنظار الناس، خجلة من عار الفضيحة<sup>(٢)</sup>. وقد جسدت كريوسا هذه  
الوحدة المريّة قائلة إنها لم تجد رفيقا لها أثناء الولادة سوى اليوس والكتمان  
(البيت ٩٥٧)، (αὐτὴ ξυμφοραὶ γε καὶ τὸ λανθάνειν μόνον). ونلاحظ هنا أن الإله أبوللون لم يرسل  
آلهة تساعد ضحيته كريوسا، مثلما فعل مع إيودانى<sup>(٤)</sup>. وهكذا مثلما كان الزواج على فراش خفى  
(البيت ١٤٨٤) "κρυπτόμενον λέχος ἡνιάσθην"  
مثلما تصرح كريوسا لايون (κρύφιον ὠδὴν' ἔτεκον) (البيت ١٤٨٧). فقد دفعها الخجل من عار العلاقة  
غير الشرعية إلى الإنجاب فى الخفاء خوفا من عار ابنها السفاح. ففى البداية كان الخوف من الوالد  
(البيت ١٤) دافعا لكريوسا لإخفاء حملها السفاح، ثم يأتى بعد ذلك الخوف من الأم  
(البيت ٨٩٧، φρίκαι ματρὸς) وما يليه) لينفعها لإنجابها الطفل بعيدا عن والدتها وإلقائه فى العراء عرضه

(1) A. Lesky, *Greek Tragedy. English Translation by H.A. Frankfort with foreword by Prof. E.G. Turner* (London & New York 1978), p. 82.

(2) Mastronarde, "Iconography and Euripides' Ion", p. 168.

(٣) يتقبل Hoffer (Violence in Euripides' Ion, p. 290) رواية كريوسا أنها أنجبت طفلها فى الكهف الذى يبرز وحدتها المريعة  
أثناء الولادة، أكثر من رواية هرميس عن ولادتها فى المنزل.

(4) Huys, *The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, p. 148.

للموت، فالازدواجية بين الخوف من الأم والخوف من الأب يبرز مرارة الوحدة الكاملة والعزلة التي عاشتها كريوسا منذ حملها السفاح، وأثناء ولادته بعيدا عن مساعدة الأب والأم، وهذا يبرز أيضا دور الأمومة والأبوة للبنت.<sup>(١)</sup>

وعندما تبدأ كريوسا في إفشاء حقيقة اغتنابها تلقى الضوء أولا على حالتها النفسية (الأبيات ٨٧٤-٨٧٨)، فهي لن تواصل إخفاء العلاقة الآثمة (σὺκέτι κρύψω λέχος) حتى تريح نفسها من الآلام (στέρνων) وتحرر صدرها من الأعباء (ῥάϊων)، فعيناها تمتلئ بالدموع (δακρύοισι)، وروحها تتعذب (ψυχὴ δ' ἄλγε) من التصرفات الشريرة (κακοβουληθεῖς) للبشر والآلهة (ἐκ τ' ἀνθρώπων ἐκ τ' ἀθανάτων). توضح التعبيرات "δακρύοισι, ἄλγεῖ, ῥάϊων, στέρνων" سمات الحالة النفسية لكريوسا بسبب السر التي تخفيه عن اغتنابها، وتؤمن أن كشف هذا السر سيخلصها من هذه الحالة النفسية وما تشعر به من آلام وأعباء ودموع وعذاب. وكان التحول من الصمت والخجل إلى الكلام والجرأة في البيت ٨٧٧ وما يليه<sup>(٢)</sup>، عندما تضع الآلهة الخالدين "αθανάτων" في موقف الاتهام مع البشر؛ حيث تصف كلا من الإله أبوللون زوجها غير الشرعي، والإنسان كسونوس زوجها الشرعي، بأنهم حانثان لعهود الزواج وغير نافعين لها (λέκτρων προδότας ἀχαρίστους)، ولديهما مسئولية مشتركة عن جرائمهما ضدها: فقد المنزل والأطفال والأمل في الإنجاب.<sup>(٣)</sup>

وعندما يستفسر المربي عمن يعلم سر إلقاء الطفل في العراء (البيت ٩٥٦)، ترد عليه كريوسا بالبؤس والخفاء فقط (αἰ ξυμφοραὶ γε καὶ λανθάνειν μόνον) (البيت ٩٥٧) كناية عن حالتها النفسية السيئة أثناء إلقاءها طفلها ليموت. ويؤكد ايون أيضا أن الأم التي تحرم من بهجة الذرية تقاسى نفس المعاناة التي يعانها الطفل الذي يبعد عن أمه (ὥς ταῦτόν πέθος πέπονθε, παιδὸς ἀπολέσασα χαρμονάς) (البيت ١٣٧٨ وما يليه). ولأنك أن التعبير "πάθος πέπονθε" يبرز حالة المعاناة التي تعيشها ضحية الاغتصاب.<sup>(٤)</sup>

### الشعور بالقهر والظلم

وإذا كان الخوف والمعاناة سمتين نفسيتين المغتصبة، فإن هذا بسبب القهر والظلم الذي تعاني منه طوال حياتها، ويؤثر أيضا على سلوكها تجاه الآخرين. في البداية توضح كريوسا سبب دموعها (الأبيات ٢٤٧-٢٥٤)،

(1) Huys, *The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, pp. 95-96. N. Loraux, *Les Enfants d' Athéna. Idées athéniennes sur la citoyenneté et la division des sexes. "Texts à l' appui. Histoire classique"* Paris 1981, pp. 234-235. M. Pohlenz, *Die Griechische Tragödie, 1. Texts, 2. Erläuterungen* (Göttingen 1954), p. 405.

(٢) يعلق Hoffer (Violence in Euripides' Ion, p. 307) إن الشعور بالخجل يعنى احترام الحدود، بينما الجرأة هي تعدى هذه الحدود. ونجد صراعا في المسرحية بين الأخلاقيات الداخلية (الذنب والتجرو على عمل جريمة)، والقوى الخارجية (الخجل وتحدي الأعمال الصعبة).

(٣) يصرح Larue (Creusa's Monody: Ion 859-922, p. 130) أن كريوسا لم تنجم الإله أبوللون في البداية بالرغم من أن الجمهور يدرك ذلك. ولكنها، في البيت ٨٧٧ وما يليه، بدأت في التحول لتريح نفسها من العذاب الذي تسبب فيه الآلهة والبشر، وكلمة "αθανάτων" (البيت ٨٧٨) هي الخطوة الأولى في تحول كريوسا إلى الهجوم ضد أبوللون.

(4) Burnett, "Human Resistance and Divine Persuasion in Euripides' Ion", p. 90.

فعند وصولها لمعبد أبوللون تذكرت أحداث جريمة اغتصابها، فهي تُعد نفسها من النساء التعيسات (τλήμονες γυναῖκες، البيت ٢٥٢)، بسبب الأعمال الجريئة التي قام بها الإله نحوها (τολμήματα θεῶν، البيت ٢٥٢ وما يليه)، فهي تقاسى الظلم الواقع عليها من مغتصبها (τῶν κρατούντων ἀδικίας ἀδούμεθα، البيت ٢٥٤)، وهذا هو سبب دموعها التي تتساب على وجنتيها؛ إنها ضحية تبحث عن العدالة (ποῖ δίκην ἀνοίσομεν، البيت ٢٥٣)<sup>(١)</sup>. إنها شخصية تتردد بين الخجل من اغتصابها والجراءة لتكشف حقيقة الظلم الذي وقع عليها والمطالبة بالعدالة<sup>(٢)</sup>. فقد اغتصبت، وحملت سفاحا، وتركت طفلها في العراء ليموت، والآن هي عاقرة بعد أن حرّمها الإله المغتصب من نعمة الإنجاب<sup>(٣)</sup>. وعندما يعلم ايون أن كريوسا لم تتجب أطفالا وعاقرة (ἀπαιδές ἀπαιδιαν ....، الأبيات ٣٠٤، ٣٠٦)، يناديها بالتعيسة (ὦ τλήμων)، فبالرغم من أنها محظوظة في أشياء كثيرة، إلا أنها تعيسة بسبب عدم إنجابها (ὥς τὰλλ' εὐτυχοῦς' οὐκ εὐτυχεῖς، البيت ٣٠٧)<sup>(٤)</sup>.

تعانى كريوسا من القهر الرجولي الذي دخل تقريبا في كل مراحل حياتها: الطفولة القاسية، الاغتصاب العنيف، الزواج دون رغبتها، والآن تبني زوجها لشاب قد يكون من امرأة أخرى الأمر الذي جعلها في النهاية تخرج عن صمتها وتحدث عن ظلمها (οὐκέτι κρύψω λέχος، البيت ٨٧٤). بداية كانت الوحيدة التي أنقذت من إختوتها البنات اللاتي ضحى بهن الأب من أجل الوطن، فقد كانت حديثة الولادة في حضن والدتها (βρέφος νεογνὸν μητρός ἦν ἐν ἀγκάλας، البيت ٢٨٠)، تلوذ بحمايتها من والدها. بعد ذلك يجئ الاغتصاب ليوضح حقيقة علاقتها بأماها، فهي تصرخ مستجدة بها أثناء الاغتصاب (κραυγὰν ὦ μάτερ μ' ἀνδῶσαι، البيت ٨٩٣). فبالرغم من أن أماها تظهر بعد ذلك بوصفها سببا لخوفها أن تعرف بحملها (φρίκαι ματρός، البيت ٨٩٨)، إلا أن هذا لا يعني أن أماها تشترك في الظلم ضدها، ولكن في الغالب حطم اغتصاب أبوللون العالم الأثوئي المثالي لكريوسا، تاركا إياها وحيدة في عزلة تامة في وقت أزمتها؛ فلم تهددها أماها بالفعل ولكن بالأحرى حطم الاغتصاب ثقافتها في أماها فخافت منها. وقد يكون

(١) يعلق R. Just (194) *Women in Athenian Law and Life*. London and New York 1989, p. 194) إن قصة كريوسا تبدأ بالظلم الجنسي - اغتصاب أبوللون لها وإلقاء طفلها في العراء - ويستمر بعد ذلك الظلم، فيجب عليها أن تبقى بدون أطفال وأن تبقى خطيئتها في طي الكتمان.

A. G. Katsours, *Linguistic and stylistic characterization Tragedy and Menander* (Ioannina 1975), p. 67. H. Yunis, *A New Creed: Fundamental Religious Beliefs in the Athenian Polis and Euripidean Drama* (Gottingen 1988), p. 127.

(٢) يعلق Hoffer (308) *Violence in Euripides' Ion*, p. 308) بقوله إن العدالة (δίκη) لها هنا مفهومين: الأول أخلاقي، والثاني تقليدي قانوني (ادعاء، محاكمة، عقاب).

(٣) يوضح Katsouris (66-67) *Linguistic and stylistic characterization Tragedy and Menander*, pp. 66-67) أن هناك ثلاث نقاط قد أثرت على شخصية كريوسا:

١ - اغتصاب أبوللون لها ٢ - إنجابها طفل وإلقائه في العراء ٣ - عقمها الحالي ورغبتها في أن يكون لديها أطفال

(٤) تتخذ M. McDonald (196) *Terms for Happiness in Euripides. Hypomnemata 54*. Gottingen 1978, p. ) ضمن أبيات أخرى لتوضح أن مصطلحات السعادة في هذه المسرحية ارتبطت بإنجاب الأطفال، بينما رافقت مصطلحات التعاسة عدم الإنجاب والعقم. عن السعادة وإنجاب الأطفال، قارن أيضا الأبيات التالية: ٤٧٢-٤٩١، ٥٦٦-٥٦٨، ٦٥٧-٦٥٨، ٧٧٤-٧٧٥، ٩٦٦-٩٦٩، ١٤٥٦-١٤٦١.



أبوللون مسئولاً عن عقمها أيضاً (ὁ Φοῖβος οἶδε τὴν ἐμὴν ἀπαιδίαν، البيت ٣٥٦)؛ فهو الذي اغتصابها وأصبحت حاملاً منه، ويصفته إله لا يرغب في أن تتجب من أحد غيره (οὐκ οὖν ἐτ' ἄλλον <γ> ὕστερον τίκτει γόνον، البيت ٣٥٦)، أو أنه عاقبها بالعقم لإلقائها طفله في العراء. وربما كان هذا حتى يجعل كلا من كريبوسا وزوجها يأتون إلى معبد تلفى للسؤال عن عقابير الإنجاب فيلتقون مع ايون. وهكذا يكون الاغتصاب مجرد جزء في سلسلة طويلة من القهر الرجولي للمرأة كريبوسا<sup>(١)</sup>.

ويحاول ايون الدفاع عن الإله وإبعاد تهمة اغتصاب كريبوسا عنه؛ مصرحاً أنه من المؤكد أن المرأة المغتصبة تشعر بالخجل بسبب ظلم رجل من البشر (ἀνδρὸς ἀδικίαν، البيت ٣٤١). ولكنه يعود ويتهم الإله صراحة بالظلم؛ عندما يصرح أن الإله ارتكب ظلماً ضد ابنه، وأن الأم التي أنجبته تستحق الشفقة (ἀδικεῖ νυν ὁ θεός، ἡ τεκούσα δ' ἀθλία، البيت ٣٥٥)<sup>(٢)</sup>. ويؤكد أن الإله أبوللون يشعر بالخجل من هذا العمل المشين الذي ارتكبه (αἰσχύνεται τὸ πράγμα، البيت ٣٦٧)<sup>(٣)</sup>. ثم تصف كريبوسا مغتصبها بأنه ليس عادلاً (οὐ δίκαιος، البيت ٣٨٤) في تصرفاته معها، لأنه - مثلاً تعتقد كريبوسا - لم ينقذ ابنه الذي كان يجب عليه إنقاذه (ὅς γ' οὐτ' ἔσωσας τὸν σῶνσσί، البيت ٣٨٦). وهكذا في الغالب لم تكن شكوى كريبوسا بسبب الاغتصاب، بقدر ما كانت بسبب الهجر وعدم المساعدة؛ لاعتقادها أن مغتصبها ترك ابنه يموت (νῦν ἔρρει πτανοῖς ἀρπασθεῖς θοῖνα παῖς μοι καὶ σοί، الأبيات ٩٠٢-٩٠٤) وأيضاً عندما يلوم المربي أبوللون بأنه أكثر قسوة من كريبوسا (ὁ δὲ θεός μᾶλλον σέθειν، البيت ٩٦٠)، كان يعتقد أيضاً أن أبوللون لم ينقذ ابنه. وتؤكد كريبوسا نفسها أنها تركت طفلها لكي ينقذه الإله (ὥς τὸν θεὸν οἴσονται τὸν γ' αὐτοῦ γόνον، البيت ٩٦٥)<sup>(٤)</sup>.

وينتقد ايون الآلهة بصفة عامة (الأبيات ٤٤٠-٤٥١)؛ لأنهم يعاقبون البشر بقوانين عادلة (δίκαιον τοὺς νόμους ἡμᾶς βροτοῖς، البيت ٤٤٢)، بينما يضعون لأنفسهم وسائل غير قانونية (γράφαντας αὐτοὺς ἀνομίαν ὀφλισκάνειν، البيت ٤٤٣)<sup>(٥)</sup>. ويطلب منهم أن يهجرُوا معابدهم (βιαίων γάμων، البيت ٤٤٧)، حتى يكفروا عما يرتكبون من شهوات عنيفة (ταῖς ἡδοναῖς، البيت ٤٤٥) توضح ظلمهم للبشر (ἀδικίας، البيت ٤٤٧)؛ فهم يلهثون دائماً وراء الملذات (ταῖς ἡδοναῖς، البيت ٤٤٨)<sup>(٦)</sup>. وينهى ايون حديثه بافتراض أن هناك تشابه بين الآلهة والبشر في ارتكابهم للرذيلة، ومن

(1) Hoffer, Violence in Euripides' *Ion*, pp. 301-302.

(2) Yunis, *A New Creed*, pp. 127-128.

(3) Katsouris, *Linguistic and stylistic characterization Tragedy and Menander*, p. 64.

(4) Burnett, "Human Resistance and Divine Persuasion in Euripides' *Ion*", p. 91, D. J. Conacher, "The Paradox of Euripides' *Ion*" (*TAPA* 90 1959), p. 33

(٥) بخصوص الأبيات ٤٤٢-٤٤٣، يعلق Hoffer (Violence in Euripides' *Ion*, p. 309) بقوله إن ايون يضع هنا مفهومين لل *νόμος* : قضائي يخص القانون، وأخلاقي يخص الاحتشام، مثلاً فعلت كريبوسا بالنسبة لمفهوم العدالة في الأبيات ٢٥١-٢٥٤.

(٦) يعلق A. E. Haigh (The Tragic Drama of The Greeks. New York 1968, p. 264 no. 6) إن أبوللون يظهر مغتصباً للنساء ويعمل ما في وسعه لإخفاء أعماله السيئة، وبعد أن اكتشفت جريمته خجل أن يظهر بنفسه ويرسل أثينا لتأخذ مكانه

ثم إذا كان البشر أشرارا (ἀνθρώπους κακούς، البيت ٤٤٩)، فإن الذين علموهم أيضا أشرار (ἀλλὰ τοὺς διδάσκοντας τάδε، البيت ٤٥١)<sup>(١)</sup>. فالمغتصب الإلهي مثل المغتصب الطاغى، قوى جدا في طغيانه وظلمه وسطوته، والإفلات بعد الاغتصاب واحدة من الجرائم الجوهرية للطاغى ليترك ضحيته وابنه السفاح.<sup>(٢)</sup> ويؤكد الكورس أنه لا يوجد في الروايات أن أطفالا أنجبتهما الآلهة من بشر تتمتع بالسعادة (αἰὼν εὐτυχίας μετέχειν θείθεν τέκνα θνατοῖς، البيت ٥٠٧ وما يليه).<sup>(٣)</sup>

وقد دفعت تصرفات الإله أبوللون السيئة كلا من كريوسا والمربى أن ينتقدها بالمصطلح κακός (κακός εὐνάτωρ، البيت ٩١٢، Απόλλων ὁ κακός، البيت ٩٥٢). ولاشك أن المصطلح κακός يستخدم بمفهوم أخلاقي ليشير إلى السلوكيات المشينة للإله أبوللون؛ فهو عاشق سبى (κακός εὐνάτωρ)<sup>(٤)</sup>، اغتصب كريوسا وأنجب منها طفلا، وحسب اعتقاد كريوسا، تركه في العراء يموت بدون مساعدة<sup>(٥)</sup>. وعندما ينتقد المربى كريوسا لتركها طفلها بأنها "جريئة بائسة" (τλήμων σὺ τόλμης، البيت ٩٦٠)، ينتقد الإله أيضا بأنه أكثر قسوة وقوة منها (ὁ δὲ θεὸς μάλλον σέθει، البيت ٩٦٠)، في إشارة إلى عنف الإله مع كريوسا

وتدافع عنه. ويدعم Hoffer (Violence in Euripides' Ion, pp. 306-307) إن وصف اغتناب أبوللون بهذه الجراءة يشير إلى المواجهة بين عنف انتهاك الحرمات وقوة الحد، التي تعني التحريم القانوني والاجتماعي للاغتصاب. انظر:

L. E. Matthaëi, *Studies in Greek Tragedy* (Cambridge University Press (1918), p. 46.

وعن الاغتصاب والإساءة في القانون الأثيني، انظر:

D. Cohen, "Sexuality, Violence, and the Athenian Law of Hubris" (G & R 38 no. 2 (1991), 171-188).

(١) يعلق Burnett (Human Resistance and Divine Persuasion in Euripides' Ion, p. 91) بقوله إن شخصيات يوريبديدس لم تكن تتوقع أن تجد أخلاقيات جنسية للآلهة، وقد وصفت العلاقة الجنسية بين أبوللون وكريوسا بأنها مخجلة ومشينة وتُعد خطيئة. انظر أيضا: Yunis, *A New Creed*, pp. 132.

(٢) قرن: Herodot. 3.80.5, Eur. Supp. 452-55, Erechth. fr. 362 N2. وانظر:

Hoffer, Violence in Euripides' Ion, p. 307.

(٣) قارن: اغتناب زيوس لأنتيوبي وإنجابها توأما تلقيا في العراء بسبب غضب جدهما، ولكن ينقذهما من الموت أحد الرعاة (Ant. Frag. 207 n. 2). واغتناب زيوس لننאי، وقد أمر والدها الخدم بإلقاء طفلها في العراء (Dan. Frag. 330. n. 2). واغتناب الإله بوسيدون لميلانيبي الأسيرة وقد أمر والدها أيضا الخدم بإلقاء توأما في العراء وتم إنقاذهما على يد أحد الرعاة (Melanippe Cap. Frag. 13). وقارن أيضا أطفال الآلهة، أخيليوس وهيراقليس و ثيسوس، وعن هذا الموضوع، انظر:

D. L. Page, *Select Papyri: Literary Papyri*, vol. III, Poetry. (London 1970), pp. 17, 61-62.

C. Collard, *The Plays of Euripides. Selected Fragmentary Plays*. (England 1995), pp. 17, 148, 261. M. McDonald, *Terms for Happiness*, p. 204. D. Kovacs, "Four Passage from Euripides' Ion" (TAPA 109 no. 1 (1979) 115-116. R. Seaford, "The Imprisonment of Women in Greek Tragedy" (J H S vol. 110 (1990), 76-90), esp. 83-84 (اغتناب زيوس لأنتيوبي).

(٤) عن مفهوم المصطلح κακός في الأدب اليوناني، انظر:

A. W. H. Adkins, *Merit and Responsibility. A Study in Greek Values* (Chicago & London 1975), pp. 172-178.

(٥) عن موضوع ترك الأطفال في العراء في مسرحية ايون، انظر:

Huys, *The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, pp. 94-103, 147-149, 168-176, 212-224, 246-251, 279-283, 308-312, 343-345.

وابنهما<sup>(١)</sup>. وبعد ذلك يطلب منها المربي أن تنتقم من أول الظالمين لها؛ من الإله الأقرى وهى بشر فان ( *σ' ἀποτίνου θεόν* ، البيت ٩٧٢ )، وترد عليه كريبوسا: كيف تتغلب على التعبيرات ( *καὶ πῶς τὰ κρείσσω θνητὸς οὐδ' ὑπερδράμω* )؛ البيت ٩٧٣<sup>(٢)</sup>. ترمز التعبيرات *κρείσσω*، *ἀδικήσαντά*، *σέθεν* الخجل عليها وسيطر عليها طوال حياتها؛ بسبب موقفها الضعيف أمام المجتمع<sup>(٣)</sup>. حيث حملت العار وحدها وسيطر عليها الخجل طوال حياتها؛ بسبب موقفها الضعيف أمام المجتمع<sup>(٣)</sup>.

#### الخجل من الكلام - الصمت

وبعد الخجل من الكلام أو الصمت من أهم التأثيرات السلبية للاغتصاب على نفسية الفتاة، وهذا ما تؤكدته سلوكيات كريبوسا فى أغلب أحداث المسرحية<sup>(٤)</sup>. فعندما يسألها ايون عن السبب الخفى الذى يقلقها ( *τί χρήμ' ἀνερμήνευτα δυσθυμῇ, γύναι* )؛ البيت ٢٥٥ )، تلتزم الصمت عن الحديث عن سرها ( *ἐγὼ σιγῶ* )؛ البيت ٢٥٧ )، وتطلب منه أيضا ألا يهتم بهذا الأمر ( *σὺ μὴ φρόντιζ' ἔτι* )؛ البيت ٢٥٧ ). وهكذا توضح التعبيرات " *μὴ φρόντιζε, σιγῶ* " حالة الخجل التى تتقارب كريبوسا وتمنعها من الحديث عن قصة اغتصابها، فهى تخاف من عار الفضيحة<sup>(٥)</sup>. ولم يندش ايون من خجل كريبوسا، فهو أمر طبيعى عندما تتحدث امرأة عن الجنس، فيجب أن يكون كلامها قليل، وحتى إذا تحدثت عن شخصية أخرى<sup>(٦)</sup>. فيوصفها ضحية

(١) يدعم Hoffer (Violence in Euripides' *Ion*, p. 308) هذا الرأى بقوله إن موضوع إلقاء الطفل فى العراء من الممكن اعتباره ظلما رجوليا أكثر من كونه ظلما أنثويا (من قبل كريبوسا ضد الطفل). فالآبيات ٩٥٨-٩٦٠ تشير إلى أن كريبوسا تأثرت وعانت الظلم نفسه. فالخطر المفروض الذى واجهته دفعها إلى إلقاء طفلها فى العراء وبالطبع لم يهدد الأب أى خطر. وهكذا فإن اغتصاب أبوللون جعله مسؤولا عن تعريض الطفل للموت (٩٦٠)، وكريبوسا نفسها تقول إنها تركت الطفل لينقذه أبوللون (٩٦٥)، وليس مثلما يزعم هرميس لتتركه يموت (١٨، ٢٧).

(٢) يوجز Burnett (Human Resistance and Divine Persuasion in Euripides' *Ion*, p. 94) مفهوم مسرحية ايون بأنها مسرحية البشر الذين لا يدركون طبيعة الإلهية واختارهم الإله ليكونوا مجرد أدوات له لتنفيذ أهدافه.

(٣) يصرح Huys (The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy, p. 100) إن يوريبديدس قد وصف اغتصاب أبوللون وسلوكياته بعد ذلك، من هجر للزوجة والطفل، بالظلم ويؤيد ذلك بالتعبيرات التالية: *ἀδίκηϊ νυν ὁ θεός* (البيت ٢٥٥)، *οὐ δίκαιος* (البيت ٢٨٤)، *κάκει ..* (البيت ٤٤٧)، *τίνοντες ἀδικίας* (البيت ٤٤٩)، *ἀδίκηϊτ* (البيت ٩٧٢).

(٤) يصرح Cairns أن مفهوم *αἰδώς* عند النساء يهتم بصورة أكثر بمتطلبات الولاء للزوج أو الأب والتخلص من أية اتهامات بالبداءة الجنسية، ويمكن اختبار سلوكيات المرأة فقط عند التورط فى اتصال مع الجنس الآخر.

D. L. Cairns, *AIDOS. The Psychology and Ethics of Honour and Shame in Ancient Greek Literature* (London, Oxford University Press 1993), p. 306.

(٥) يدعم Katsouris (Linguistic and stylistic characterization Tragedy and Menander, p. 67) هذا الرأى بقوله إن مفهوم الخجل والعار الذى عاشته كريبوسا لسنوات طويلة لم يسمح لها أن تكشف سرها لأى شخص وفضلت الصمت.

(6) Cairns, *AIDOS*, p. 307.

اغْتصاب تكشف عن الضغط النفسى التى يجتاحها بسبب الظلم الاجتماعى الذى وقع عليها.<sup>(١)</sup> وهذا ما تؤكد كريبوسا عندما تصف قصة اغْتصابها وإلقائها للطفل بالصفة *αἰσχύνειν* (البيت ٢٨٨)، فهى قصة مشينة معروفة فقط للكيف (*ἀντροισιν*) البيت ٢٨٨ الذى شهد هذه الجريمة<sup>(٢)</sup>. فالخجل لم يجعلها فقط تلجأ للصمت وتخفى حملها السفاح وإنجابها، ولكن دفعها أيضا للتخلص من طفلها وأن تخفى سرها لسنوات كثيرة<sup>(٣)</sup>.

وبعد قليل تبدأ كريبوسا فى رواية قصة المرأة التى اغْتصابها فويبيوس (الأبيات ٣٣٦-٣٤٧)، والخجل (*αἰδώς*) لا زال يسيطر عليها؛ فحتى تتفادى الحرج لم توضح لايون أنها فى الحقيقة هذه المرأة<sup>(٤)</sup>. ففى البداية توضح خجلها (*αἰδοῦμεθα*) البيت ٣٣٦ من الحديث عن هذا الموضوع، ثم تصرح أن فويبيوس قد ضاعها (*Φοίβωι μιγῆναι*) البيت ٣٣٨، ويندهش ايون كيف يضاجع فويبيوس امرأة (*Φοίβωι γυνὴ γεγῶσα*) البيت ٣٣٩، وتكمل كريبوسا حديثها بأنها أنجبت طفلا للإله لا يعرف أبوه (*παῖδά γ' ἔτεκε τῷ θεῷ λάθραι πατρός*) البيت ٣٤٠، ولكن ايون يرد أن هذا مستحيل ومن المؤكد أن هذه المرأة تشعر بالخجل (*αἰσχύνεται*) البيت ٣٤١ بسبب ظلم رجل من البشر (*ἀνδρᾶς ἀδικίαν*) البيت ٣٤١، ولكن فى هذه الحالة لم يكن الاغتصاب عارا فقط للضحية، ولكنه عار أيضا لمرتكب الاغتصاب، فقد ارتكب ذنبا وانتهك القوانين، وحتى الإله فهو يخلع أيضا من أعماله السيئة (*αἰσχύνεται τὸ πρᾶγμα*) البيت ٣٦٧<sup>(٥)</sup>. أما المرأة فتشعر بالخجل والعار لمجرد أنها مارست هذه التجربة الجنسية العنيفة.<sup>(٦)</sup> فخل كريبوسا لم يدفعها فقط إلى إظهار تصرفات مؤسفة لتخفى عارها مثل إلقاء طفلها

(١) يصرح Hoffer (Violence in Euripides' *Ion*, p. 303) أن العقل المشتت والمزق لكريبوسا، أثناء روايتها عن تفاصيل اغْتصابه، يعكس العنف الرجولى ضده، ويوضح استمرار القمع الذكري لها الذى استسلمت له فى البداية، ويسبب لها، مع الظلم الاجتماعى، الكبت النفسى. ولكنها تدن فى النهاية البنيان القوى الذكري ويتحطم خلال الكبت الداخلى.

(٢) قد أشير للكيف عدة مرات فى المسرحية بوصفه المكان الذى حملت فيه ايون (الأبيات ١٧، ٨٩٢ وما يليه، ٩٣٦ وما يليه) وأنجبت فيه (الأبيات ٩٤٨-٩٤٩)، وألقته فيه بعد ذلك عرضه للموت (الأبيات ١٦ وما يليه، ٩٥٨، ١٣٩٨ وما يليه، ١٤٩٤ وما يليه)، ولكن هرميس أنقذه منه ونقله لمعبد دلفى (البيت ٢٨ وما يليه)، انظر: Rosivach, *The Parodos of the Ion*, p. 289.

(3) Huys, *The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, p. 97.

(٤) يعلق Hoffer (Violence in Euripides' *Ion*, p. 307) بقوله إن أسلوب رواية كريبوسا لقصة اغْتصابها يظهر أن القوة المضادة للقمع الذكري تعود للوراء بسبب خجلها من عارها بوصفها فتاة مقتصة.

(٥) بخصوص خجل كريبوسا (البيت ٣٣٦) وخجل أبوللون (البيت ٣٦٧)، يعلق Hoffer (Violence in Euripides' *Ion*, pp. 306-307) إن خجل الطرفين الضحية والطاغى يخلق نوعا من الكتمان على كل أحداث الاغتصاب طوال المسرحية. خجل كريبوسا يجعلها تحول قصتها إلى صديقتها، ولكنها قوية بدرجة كافية لتفرض دفاع ايون عن أبوللون (٣٦٧-٣٦٨)، وواقعة بصورة كاملة أنها على حق، ولكنها قليلة الثقة فى الحصول على حقوقها، ويشير خجلها إلى الخوف من الطغيان السابق، ولكن ليس بمفهوم الذنب الأخلاقى. ومن ناحية أخرى يعكس خجل أبوللون الخوف من اللوم (البيت ١٥٥٨). وإذا بقيت كريبوسا صامتة فإنها لن تحصل على شئ، فالخجل غير مفيد لاتجاز الأعمال (البيت ٣٢٧).

(٦) فرق Cairns (AIDOS, pp. 149-151) بين الخجل (*shame*) الذى يسببه استنكار ناس آخرين والذنب (*guilt*) الذى يسببه الاستنكار الداخلى للإنسان نفسه.

طفلها في العراء، ولكنه جعلها أيضا تحس بمشاعر الاشمئزاز النفسى وعدم الجدارة<sup>(١)</sup>. ونجد تكرارا أيضا لخلج كريبوسا من الكلام عن قصة المرأة المغتصبة، وهذا عندما تطلب من ايون عدم إخبار زوجها بالكلام الذى دار بينهما (σῖγα πρὸς ἄνδρα، البيت ٣٩٤ وما يليه)، حتى لا تشعر بشئ من الحرج (μή τιν' αἰσχύνῃν λάβω، البيت ٣٩٥) من مناقشة الأمور الخاصة (διακονοῦσα κρυπτά، البيت ٣٩٦)، وحتى لا يتطور الأمر إلى أبعد من ذلك<sup>(٢)</sup>. وتؤكد التعبيرات "κρυπτά, αἰσχύνῃν, σῖγα" خلج كريبوسا من الحديث عن قصة الاغتصاب، ورأت من الأفضل أن تلتزم هي وايون الصمت عن هذه الأمور الخفية التى قد تصل إلى زوجها، وعندئذ تتطور العلاقة بينهما إلى الأسوأ، فموقف النساء في هذا الموضوع يكون صعباً أمام الرجال (τὰ γὰρ γυναικῶν δυσχερὴ πρὸς ἄρσενας، البيت ٣٩٨)، فكريوسا تهتم بدون شك ألا يكشف زوجها حقيقة اغتصابها. فالمجتمع اليونانى ينتقد المرأة التى تتحدث عن الجنس ويعتبر المرأة التى اغتصبت سيئة السلوك (κακὴ)<sup>(٣)</sup>.

وتتخلى كريبوسا عن خلجها وتكشف عن قصة اغتصابها فقط عندما تعرف أن زوجها سيتبنى ابناً وتعتقد أنه ابنه من امرأة أخرى (الأبيات ٨٥٩-٨٦٣). فى البداية تحدث نفسها كيف ستظل صامئة (πῶς σιγᾶσω)، وكيف تكشف عن حقيقة العلاقة غير الشرعية التى تمت فى الظلام (σκοτίας εὐνάς)، البيت ٨٦٠ وما يليه) حتى تتخلص من خلجها (αἰδοῦς δ' ἀπολειφθῶ، البيت ٨٦١)<sup>(٤)</sup>. فالصمت يقف عائقاً (ἐμπόδιον، البيت ٨٦٢) فى صراعها من أجل إثبات فضيلتها (πρὸς τίν' ἀγῶνας τιθέμεσθ' ἀρετῆς، البيت ٨٦٣)<sup>(٥)</sup>. فزواجها غير الشرعى الذى تم فى الظلام مع

(١) عن مفهوم αἰδώς كريبوسا، يطلق Cairns (AIDOS, p. 308) أن هذه الحالة من الخجل المنظور فحصت على أنها ليست شيئاً قد قام به شخص ولكن شيئاً يعانيه شخص.

(2) Hoffer, *Violence in Euripides' Ion*, p. 312.

(3) Cairns, *AIDOS*, p. 308.

(٤) وخلاف خلج كريبوسا من اغتصابها وإنجابها طفل سفاح وإلقائه فى العراء، يوجد دلائل أخرى للخجل (αἰδώς) فى هذه التراجيديات مثل: واختلات ضمير الملكة الأثينية واخلجها أن تقتل زوجها لتقديسها رابطة الزواج بينهما عندما كان زواجا صالحا (αἰδοῦμεθ' εὐνάς τὰς τὸ θῆνικ ἐσθλὸς ἦν، البيت ٩٧٧). خلج ايون من قتل الطيور المقدسة فى معبد دلفى (κτείνειν δ' ἡμᾶς αἰδοῦμαι، البيت ١٧٩). خلج الإله أبوللون نفسه مما فعله مع كريبوسا (αἰσχύνεται τὸ πράγμα μὴ ἔλεγχέ νιν، البيت ٣٦٧). خلج العبيد من لقيهم (τοῖς δούλοισιν αἰσχύνῃν φέρει, τούνομα، البيت ٨٥٤ وما يليه). ويعد الخجل والعار (αἰδώς) موضوعاً مهماً له علاقة قريبة بالأمور السرية وإخفاء الممارسات الجنسية غير الشرعية ونتائجها، وهي منتشرة فى كل الدراما اليونانية. عن هذا الموضوع، انظر:

G. Sissa, "Le corps virginal. La virginité féminine en Grèce ancienne" (*Études de psychologie et de philosophie* 22. Paris. 1987), p. 122. Huys, *The Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, p. 97.

(٥) يوضح Katsouris (*Linguistic and stylistic characterization Tragedy and Menander*, p. 68.) أن البيت ٨٥٩ بداية خروج كريبوسا عن صمتها، حيث توضح بتعابير كثيرة أن هذا الصمت كان عائقاً يمنعها من الكشف عن الحقيقة، وتبدأ بعد ذلك فى وصف تفاصيل اغتصاب أبوللون لها (الأبيات ٨٨٧-٨٩٦). انظر أيضاً:

J. Larue, *Creusa's Monody: Ion 859-922*, p. 129.

مع الإله أبوللون يجعلها تتردد بين الصمت والكلام (*ἀναφήνω, σιγάσω*)، لتفصح عن علاقتها الخفية (*εὐνάς σκοτίας*). وتؤكد المصطلحات "*αἰδοῦς, σκοτίας, σιγάσω, ἀρετῆς*" علاقة الرذيلة بالظلام الذي تمت تحت ستاره جريمة الاغتصاب، هذه الجريمة التي أجبرت كريوسا على الصمت طوال حياتها لأنها كانت تشعر بالخجل، والآن تشعر بالخجل مرة ثانية من كتمان هذا السر، وتريد أن تعيش في النور وتكشف سر هذه العلاقة حتى تثبت فضيلة براءتها وطهرها<sup>(١)</sup>.

وبعد قليل تؤكد كريوسا الدافع وراء حالة الصمت التي تتأبها؛ فالصمت جاء بسبب زواجها غير الشرعى (*σιγῶσα γάμους*، البيت ٨٦٨)، وبسبب عملية ولانتها التي صاحبها الدموع الكثيرة (*σιγῶσα τόκους πολυκλαύτους*، البيت ٨٦٩). ويؤكد تكرار الفعل *σιγάω* مع الصفة *πολύκλαυτος* حالة الصمت المحزن التي كانت تعيشه ضحية الاغتصاب خوفا من عار الفضيحة<sup>(٢)</sup>. وفي حديثها مع المربي عن قصة اغتصابها تصرح كريوسا أنها تشعر بالخجل من الكلام أمامه ولكنها ستتحدث في المقاومة التي تمثلها كريوسا المرأة المغتصبة والقمع الذكرى الذي يمثله الإله أبوللون وكسوثوس. فعلى المستوى النفسي تتجاوز كريوسا حدود الصبر والاستسلام إلى الجراءة. فهي تظهر صراعا نفسيا بين الخجل والسخط بين الكبت النفسى والانفجار؛ يعكس كبتها النفسى ومشاعر العار خطيئة مرتكب فعل الاغتصاب معها، أما انفجار سخطها فيعكس الحد الاجتماعى ضد جريمة الاغتصاب ومرتكبها<sup>(٣)</sup>.

وقرب النهاية نجد تصريحاً آخر لكريوسا عن خجلها من الكلام، حيث تظهر مشاعر الخجل أمام ابنها أيون (*οἶον οἶον ἀνελέγχομαι*، البيت ١٤٧١)، وهى تكشف له أنها أنجبته من رجل آخر غير زوجها كسوثوس (*ἄλλοθεν γέγονας, ἄλλοθεν*، البيت ١٤٧٢)، من زفاف لا يصاحبه ضوء المشاعل ولا الرقصات (*οὐχ ὑπὸ λαμπάδων οὐδὲ χορευμάτων ὑμέναιος ἐμός*، البيت ١٤٧٤ وما يليه)، هذا بالطبع كناية عن أن الزواج (*ὑμέναιος*) تم في الظلام لعدم الشرعية؛ فقد ارتبط النور بشرف الزوجة في حفل زفافها، حيث يراها الجميع بسبب هذه الأنوار، ومن ثم تتال التكرير هى ونسلها. أما هذا الزواج عن طريق الاغتصاب فى الظلام يمثل الموت بالنسبة للعذراء، الموت لكل مشاعرها ولا يبقى لها سوى مشاعر الخوف والخجل والصمت، إنها تعيش ميتة المشاعر<sup>(٤)</sup>.

#### طفل السفاح وعار الاغتصاب [الظلم، الوحدة، الحرمان]

لاشك أن أكبر التأثيرات السلبية لجريمة الاغتصاب تقع أيضا على ثمار هذه الجريمة - أطفال السفاح. فقد يتعرض هذا الطفل للموت وهذا في بداية خروجه للحياة، عندما تحاول المرأة المغتصبة التخلص منه

(١) يؤكد Wolff (The Design and Myth in Euripides' Ion", p. 194 n. 42.) أن الخجل من عار الفضيحة (*αἰδώς*) التى تبتهن كريوسا (الأبيات ٣٣٧ وما يليه، ٣٩٥ وما يليه)، الآن تخلت عنه (الأبيات ٨٦١، ٩٣٤)، لتكشف عن حقيقة اغتصابها.

(2) Larue, Creusa's Monody: Ion 859-922, p. 129.

(3) Hoffer, Violence in Euripides' Ion, p. 306.

(4) Rehm, Marriage to Death, p. 102.

فرر إنجابه خوفا من عار الفضيحة، وحتى إذا لم يمت في بداية حياته، فإنه يعيش بقية حياته في عذاب العار يبحث عن أبيه ويهرب من نظرة المجتمع السيئة له، مثلما يحدث مع بطل هذه المسرحية. فمثلا يوضح هرميس (الأبيات ١٥-١٩) إن كريوسا بعد اغتنابها حملت عبثا ثقيلًا في رحمها (γαστρός ὄγκου، البيت ١٥)، وعندما جاء وقت الولادة، وضعت طفلا في منزلها، ثم حملته سرا إلى نفس الكهف الذي اغتصبها فيه الإله (ἐς ταύτον ἄντρον οὐπερ ἠνιάσθη θεῶι، البيت ١٧)، وتركته يموت (κἀκτίθησιν ὡς θανούμενοι، البيت ١٨) في مهده الأجوف المستير. ويبدل التعبير γαστρός ὄγκου على الدافع وراء تخلص المغتصبة من طفلها السفاح؛ فهو يمثل بالنسبة لها عبثا ثقيلًا يؤثر على حالتها النفسية، ويدفعها خوفا من العار إلى ولادة هذا الطفل في السر، وتضطر أن ترميه في مكان الولادة عرضه للموت. وعندما تسأل كريوسا ابنها ايون، الذي لا تعرفه، عن المرأة التعيسة التي أنجبته (ἀλλὰ σ' ἡ τεκοῦσ' ἄρ' ἦτις ἦν ποτε، البيت ٣٢٤)، يرد عليها بأنه ربما يكون ثمره خطيئة وظلم امرأة (ἀδίκημά του γυναικὸς ἐγενόμην ἴσως، البيت ٣٢٥). يبرز ايون بالتعبير ἀδίκημά του γυναικὸς الظلم الذي وقع عليه نتيجة خطيئة أمه، فهو أصبح بدون هوية لا يعرف من الأم التي أنجبته أو الأب الذي جاء من صلبه (ὡς μὴ εἰδὸθ' ἦτις μ' ἔτεκεν ἐξ οὗτοῦ τ' ἔφυν، البيت ٣١٣) ويعيش وحيدا في معبد دلفي (ἅπαν θεοῦ μοι δῶμ', ἐν' ἃν λάβημι μ' ἄπιος، البيت ٣١٥). فالظلم والوحدة وعدم الهوية من أكبر التأثيرات السلبية التي يعانيها طفل السفاح بسبب جريمة الاغتصاب. ونشر بوحدة ايون من كلماته أنه يعيش بلا أب وبلا أم (ἀμήτωρ ἀπάτωρ τε γεγώς، البيت ١٠٩)<sup>(١)</sup> يخدم في معبد الإله فوبيوس الذي يرعاه (τοὺς θρέψαντας Φοῖβου ναοὺς θεραπεύω، البيت ١١٠ وما يليه)، وهكذا ايون بصفته ابنا من أم عذراء وأب يمثل إله التطهير، نجد أن نسبه يؤثر على طريقته في الحياة التي تكون نقيّة من العلاقات الجنسية ونسبها ومتطلباتها.<sup>(٢)</sup>

ويشعر طفل السفاح بالحرمان، ففي بداية حياته يحرم من عنصر الغذاء الأول وهو الرضاعة الطبيعية من والدته، فعندما تسأله كريوسا من التي أرضعته من نساء دلفي (αἱ τίς γάλακτί σ' οὐπάποτ' ἐγγων μαστόνι، البيت ٣١٨)، يرد عليها بأنه لم يعرف الثدي أبدا (οὐπάποτ' ἐγγων μαστόνι، البيت ٣١٩). ويتضح أيضا - في حوار كريوسا مع المربي - مسؤولية الأم عن التأثير السلبي على نفسية ابنها، وهذا ما يؤكد المربي أيضا بعد أن عرف بقصة إلقائها لطفلها في العراء؛ فهو يصفها بالتعبير "τλήμων τόλμης" (الجريئة اليائسة، البيت ٩٦٠)، فهي جريئة في عملها بترك طفلها للموت ولكنها بائسة لأنها أجبرت على هذا لتتفادى عار الجريمة وكانت النتيجة حرمانها من طفلها. وفي حوارها مع المربي توضح ظلمها لابنها، وتبدأ حديثها بأنها تشعر بالذنب وتخل مما فعلته مع طفلها (αἰσχύνομαι).

(١) بخصوص البيت ١٠٩ عن شكوى ايون عن أنه بلا أب أو أم، يصرح F. M. Wasserman (Divine Violence and Providence in Euripides' Ion TAPA 71. 1940, p. 596) إن كلام ايون جاء تهكميا؛ فيعد زواج أبوللون وكريوسا، أصبح لديه أم وأب من أعلى الدرجات، وهكذا رغبته أن تكون أمه من أثينا قد تحققت

(2) Hoffer, "Violence in Euripides' Ion", p. 295.

البيت ٩٣٤؛ فقد حاول أن يمد يديه نحوها ليستعطفها ( *εἰ παῖα γ' εἶδες χεῖρας ἐκτείνοντά μοι* ) البيت ٩٦١، ويبحث عن ثديها ليرتمي في أحضانها ( *μαστών διώκοντ' ἠπρὸς ἀγκάλαις πεσεῖν* ) البيت ٩٦٢، ولكن حتى هذا الثدي لم تعطه له وكانت ظالمة بإيعاده عنها ( *ὧν ἄδικ' ἐπασχεν ἐξ ἐμοῦ* ) البيت ٩٦٣. <sup>(١)</sup> ويعد أن تتعرف على ابنها تؤكد كريوسا أنها ظلمته في بداية حياته؛ فلم ترضعه لبنها ( *γάλακτι δ' οὐκ ἐπέσχον* )، ولم تعطه ثديها ( *οὐδὲ μαστῶι τροφεῖα* )، ولم تغسله بيديها ( *οὐδὲ λουτρὰ χειροῖν* )، الأبيات ١٤٩٢-١٤٩٣.

وعندما يسأل ايون عما فعلته المرأة من خطيئة مادام اغتصبها إله ( *τί χρῆμα δράσασ'* ) البيت ٣٤٣، ترد عليه كريوسا أنها رمت طفلها التي أنجبته خارج المنزل ( *εἰ θεῶι συνεζύη* ) البيت ٣٤٤، ( *τόν παῖδ' ὃν ἔτεκεν ἐξέθηκε δωμάτων* ) البيت ٣٤٤. والتعبير " *ἐξέθηκε δωμάτων* " يوضح التأثير السلبي على طفل الخطيئة وهو إبعاده عن المنزل ومن ثم يُحرَم من التربية في رعاية والديه مما له ابلغ الأثر النفسي عليه طوال حياته.

ويوضح ايون مشاعر الابن الذي فقد تربية أمه وعاش بعيدا عن منزله (الأبيات ١٣٦٩-١٣٧٢). فقد كان يذرف دموعا كثيرة من عينيه ( *δσσων ὡς ὑγρόν βάλλω δάκρυ* ) البيت ١٣٦٩ كلما فكر في اليوم الذي أنجبته أمه في الخفاء ( *με κρυφαῖα* ) البيت ١٣٧٠ وما يليه بعد أن تزوجت ( *νυμφευθεῖσα* ) البيت ١٣٧١، وتخلصت منى سرا ( *ἀπημπόλα λάθραι* ) البيت ١٣٧١، وحرمت من ثديها ( *μαστών οὐκ ἐπέσχεν* ) البيت ١٣٧٢. توضح التعبيرات " *κρυφαῖα* " *τεκοῦσά με*، *ὑγρόν δάκρυ*، *οὐκ ἐπέσχεν*، *λάθραι*، " بالظلام والإخفاء ونتائج السلبية على طفل السفاح من حرمان من التربية وما تبعه من حزن ودموع.

ويواصل ايون حديثه عن مصيره القاسى ( *δαίμονος βαρέα* ) بعيدا عن أمه (الأبيات ١٣٧٤-١٣٧٩). ففي الوقت الذي كان يجب أن يتربى بين أحضان أمه ( *χρόνον γὰρ ὃν μ' ἔχρην ἐν ἀγκάλαις* ) ( *μητρός τρυφήσαι* ) ويتمتع بحياته معها ( *τερφθῆναι βίου* )، حُرِم من تربية والدته الحبيبة ( *ἀπεστερήθην φιλιότητος μητρός τροφῆς* )، ثم يصف والدته أيضا بالبؤس ( *τλήμων δὲ χή τεκοῦσά μ'* ) فقد عانت مثلما عانى هو ( *πάθος πέπονθε* ) لأنها حرمت من بهجة الطفل ( *παιδὸς ἀπολέσασα χαρμονάς* ). وهكذا ترمز التعبيرات *βαρέα*، *ἀπολέσασα*، *παθος*، *πέπονθε*، *τλήμων*، *ἀπεστερήθην* تتخلص من ثمرة الخطيئة لطفل السفاح، الذي يُحرَم من التربية في بيت الأم، مما يعرضه للمعاناة من مصيره المجهول ويؤثر على حالته النفسية.

(١) تزايد McDonald ( *Terms for Happiness*, p. 210 n. 34 ) أن الفعل " *αἰσχύνομαι* " الذى يعبر عن مشاعر الخجل يتعلق برواية كريوسا عن اغتصابها، ويبدو أن شعورها بالخجل قد نبع من حقيقة إيمانها بأنها قد ارتكبت ذنبا بإلقاء طفلها في العراء. وعندما تتذكر وهو يمد يديه يستجد باحثا عن ثديها، تعترف بأنها ليست عادلة في حرمانها منها. بينما يعلق Huys ( *The Hero* ) ( *who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, pp. 148-9 ) بقوله إن المشهد الذى ترويهِ الأم عن مشاعر ابنها ومعاناتها أثناء تخليها عنه يعد مشهدا محطما للقلوب يوضح كيف أجبرت الأم على لقاء ابنها الحبيب عرضة للموت.



وأيضاً يؤكد الكورس (الأبيات ٥٠٣-٥٠٦) أن الأطفال هم ضحايا هذا الاغتصاب؛ حيث يوضح أن هناك عذراء تعيسة (παρθένος μελέα) - إشارة إلى كريبوسا - أنجبت طفلاً (τεκούσα βρέφος) لفوييوس وتركته ليموت فريسة للطيور الجريفة (πικρῶν γάμων ὕβρι) (١). فالعذراء تشعر بأن طفلها هو خطيئة هذه العلاقة غير الشرعية، ولذا تقدم على التخلص من هذا الطفل حتى تتخلص من عاره (٢).

وعندما يسألها المربي عن ألقى الطفل في العراء (τίς γάρ νιν ἐξέθηκεν، البيت ٩٥٤)، فتجيبه كريبوسا أنها ألقته في الظلام بعد أن لفته ببعض الملابس (ἡμεῖς, ἐν ἄρφνῃ) (البيت ٩٥٥). وهكذا ارتبط الظلام بأطفال السفاح؛ حيث تترك كريبوسا ابنها السفاح في الظلام (ὄρφνῃ)؛ خوفاً من العار وحتى تخفى خطيئتها أو زواجها غير الشرعي (البيت ٩٥٥) (٣). ويلقي ايون مسئولية معاناة أطفال السفاح على الأب أيضاً، حيث يندش أن فوييوس يغتصب العذاري (παρθένους βίαι γαμῶν προδίδωσι، البيت ٤٣٧ وما يليه) وينجب أطفالاً في الخفاء (ἀμελεῖ) θνήσκοντας بموتهم (البيت ٤٣٨)، ولا يهتم بموتهم (παῖδας ἐκτεκνουμένους λάθραι).

(١) لقد صور الكورس اغتناب الإله أبوللون لكريبوسا وظلمه لابنه بأنها غطوسة "ὕβρις" من الإله تبين قوته وسيطرته على مجرى الأمور حسب رغبته، وكان هذا دافعا لإقامة ثورة ضد الآلهة، انظر:

R. Buxton, *Imaginary Greece, The contexts of mythology*. Cambridge 1994, p. 107

(٢) بخصوص المصطلح "ὕβρις" في البيت ٥٠٦، يعلق N.R.E. Fisher (HYBRIS. A Study in the Values of Honor) إن المصطلح "ὕβρις" يعبر عما حدث للطفل الرضيع من إلقاء في العراء من أجل الموت، فهو نسل عملية اغتناب مسيئة (rape/hybris)، كانت بمثابة زواج مزور ولم يكن زواج حقيقي، حيث إن كريبوسا لا زالت عذراء. ويشير للمصطلح "ὕβρις" أيضاً إلى أن نهاية الطفل كانت بسبب شعور كريبوسا بالعار القاسي. وبصفة عامة يعبر المصطلح "ὕβρις" عن الأسلوب العنيف للاغتصاب وما تبعه من هجر. أما Huys (The Hero who was exposed at Birth in Euripidean Tragedy, p. 101 no. 49)، فيرى أن المصطلح "ὕβρις" يشير إلى ما فعله أبوللون مع كريبوسا وكان سبباً لإلقاء الطفل في العراء، ومن ثم يستخدم المصطلح بوصفه تعبيراً نموذجياً يصف الإساءة الجنسية أو الاغتصاب

(٣) عن الملابس والمتعلقات التي تُترك مع الطفل عند إلقائه في العراء في تراجيديا يوريبيدس بصفة عامة، وفي مسرحية ايون بصفة خاصة، انظر:

Huys, *The Hero who was exposed at Birth in Euripidean Tragedy*, pp. 198- 238, (Ion pp. 212-225).

(4) Huys, *The Hero who was exposed at Birth in Euripidean Tragedy*, p. 220. Cairns, *AIDOS*, pp. 270-271.

البيت ٤٣٨)<sup>(١)</sup>. وتشير التعبيرات "θνήσκοντας, λάθραι" إلى أن العلاقات الجنسية الخفية قد تؤدي إلى موت أطفال هذه العلاقات، فالاغتصاب يتبعه إهمال (ἀμελει) للأطفال قد يؤدي لموتهم<sup>(٢)</sup>.

### الوضع الاجتماعي وحرية الكلمة والعمل

ولاشك أن الوضع الاجتماعي المتدنى لطفل السفاح له أبلغ التأثير على نشاطه وتفاعله في المجتمع والبيئة المحيطة به. يوضح ايون بنفسه التأثير السلبي لاغتصاب أمه عليه من الناحية الاجتماعية والنفسية، فعندما يعرض عليه كسوثوس - والده بالتبني - أن يأتي معه إلى أثينا ليكون وريثاً للعرش، يرفض هذا العرض ويفضل أن يعيش الحياة الهادئة في خدمة معبد دلفي (الأبيات ٦٣٠-٦٣١، ٦٤٥-٦٤٧)؛ وهذا الرفض جاء بسبب أن لديه نقيصة من الناحية الاجتماعية (δύο νόσω κεκτημένος)؛ فهو ابن غير شرعي (νοθαγενής) لوالد متهور (πατρός τ' ἐπακτού)، وهذا يجعله ضعيفاً اجتماعياً (ἀσθενής)، وسوف يعده المجتمع لا شيئ (μηδέν καὶ οὐδέν ὢν κεκλησόμαι) (الأبيات ٥٩١-٥٩٤). فهذه النقيصة سوف تلاحقه حتى إذا وصل لمكان الصدارة في الدولة، فالتفوق مثير للكراهية وسيجعل الناس يبحثون عن نقاط ضعفه، ومن ثم يفضل أن يكون مثل أولئك الحكماء الذين لا يزجون بأنفسهم في الحياة العامة (الأبيات ٥٩٥-٥٩٩)، وحتى إذا رشح نفسه في الانتخابات سيهاجم من أصوات معادية في الدولة (الأبيات ٦٠٢-٦٠٤). يفضل ايون هنا ألا يضع نفسه في دائرة الضوء فيسأل عن نسبه، فيمنعه خجله ونسبه غير المعروف من الإجابة، وبالتالي يصبح موضع هجوم وسخرية الناس، وقد يضطر مرة أخرى إلى الانزواء في دائرة ظلام الخجل والعار من اغتصاب أمه<sup>(٣)</sup>.

وبالرغم من أن ايون يحب خدمة الإله إلا أنه يكره حالة العبودية التي يعيشها، ويشتاق إلى استعادة حريته<sup>(٤)</sup>. فهو يبرز هموم حياته (εἰ πόνου μοι ξυλλάβοι، البيت ٣٣١)، عندما يشك أنه ثمرة خطيئة امرأة تعرضت للاغتصاب (ἀδίκημά του γυναικὸς ἐγενόμην، البيت ٣٢٥)، ولكنه يشعر بالارتياح عندما تجئ النبوءة ويعرف أنه سيكون ملك أثينا مثل والده ويصرح أنه تخلص من العبودية (ἐκπεφύγαμεν τὸ δοῦλον، البيت ٥٥٦)<sup>(٥)</sup>. وبالرغم من ذلك فهو لا يزال يعد نفسه ابناً غير شرعي

(١) يصرح Conacher ("The Paradox of Euripides' Ion", p. 34 n. 41) بأن ايون في تعليقاته التي اندهش فيها من اتهام الإله، لم يهتم فقط بافتراض أن أبوللون هجر كوريوساً وطفله، ولكن أيضاً اهتم بالاغتصاب الفاجر في حد ذاته (الأبيات ٣٣٩، ٣٤١، ٤٣٧ وما يليه، ١٥٢٣-١٥٢٧). انظر: Yunis, A New Creed, pp. 129-130.

(٢) يصرح F.M.Wasserman (Divine Violence and Providence in Euripides' Ion, p. 588) أن العنف هو السمة الرئيسية لأبوللون في هذه المسرحية؛ وحدد دلائل هذا العنف: انتهاك عرض كوريوساً، إهمال طفله، جعل كوريوساً عاقراً، السماح لكل من كوريوساً وايون بالدخول في محاولة قتل كل منهما الآخر، عدم إخبار كوريوساً بمكان ابنها ايون، إعطاء كسوثوس نبوءة مزيفة عن ايون من أجل أن يتبناه.

(3) Huys, The Hero who was exposed at Birth in Euripidean Tragedy, p. 343

(4) G. B. Walsh, "Rhetoric of Birthright and Race in Euripides' Ion" (Hermes 106 n. 2 1978), p. 301.

(٥) يوضح Walsh (Birthright and Race in Euripides' Ion, p. 306) سبب النهاية السعيدة لطفل السفاح ايون؛ فبالرغم من ولادته جاءت بعنف جنسي، إلا أنها صورت كيف يأتي الخير من الشر، وكيف يأتي الفضيلة من الرذيلة؛ فوالدته أعتصبت ونال الناس من دمها ودمه، ولكن ما دنسه هو قوة الإله.

(*νοθαγενής*، البيت ٥٩٢)، ومن ثم فهو ضعيف اجتماعيا (*ἀσθενής*، البيت ٥٩٣). وقد تحرّمه هذه النقيصة الاجتماعية من حرية الكلمة (الأبيات ٦٧١-٦٧٥)؛ فهو يتمنى أن تكون أمه من أثينا (*ἐκ τῶν Ἀθηνῶν μ' τεκοῦς' εἴη γυνή*)، كي يكون لديه حرية الكلمة (*παρρησία*)؛ فالأجنبي إذا جاء إلى مدينة نقية الدم (*καθαράν γὰρ ἦν τις ἐς πόλιν πέσσει ξένος*)،<sup>(١)</sup> وحتى لو حصل على المواطنة (*ἀστός*)، يظل عبدا في لسانه (*στόμα δούλου*) ولا يتمتع بحرية الكلمة (*παρρησία*)<sup>(٢)</sup>. فالمجتمع ينتقد طفل السفاح لعدم هويته، ويفترض بصورة تلقائية أنه من أم أجنبية، ومن ثم يُحرّم من حقوقه الاجتماعية ومن ضمنها حرية الكلمة، وهذا بسبب عار أصله. حيث توافّق حرية التعبير عن الرأي الحرية الجنسية، وفقدانها علامة مميزة للعبودية<sup>(٣)</sup>. ويعتقد يوريبديدس صلة بين نبل الأصل الفطري للخادم ايون وبين تصريح المربي عن مفهوم العبودية (الأبيات ٨٥٤-٨٥٦)؛ حيث يصرح المربي أن الشئ الوحيد الذي يجلب المهانة (*αἰσχύνῃ*) للعبيد هو اللقب فقط (*τοῦνομα*)، وفيما عدا ذلك فالعبد ليس أسوأ من الأحرار (*δοῦλος ἐλευθέρων οὐδὲν κακίων*) في أي شئ مادام كان شهما (*δοῦλος ἐσθλός ἦν*). ولكن الشئ المختلف بالنسبة لحالة ايون أن مشاعره، التي قد تبدو أرسطراطية بخصوص مخاوفه من أن يكتشف أنه من نسب وضيع الأصل، تقوده إلى أزمة نفسية<sup>(٤)</sup>.

وتمثل هذه الأزمة النفسية في الخوف من حقيقة أمه، فحتى في نهاية المسرحية يخاف ايون أن يفتح المتعلقات التي كانت موجودة معه أثناء العثور عليه طفلا، حتى لا يكتشف أن والدته آمة (الأبيات ١٣٨٢-١٣٨٣)، مما يسبب له التذنى الاجتماعي مثلما لو كانت أمه أجنبية<sup>(٥)</sup>. فهو يصرح أن لو قدر له أن التي أنجبته آمة (*εἰ γὰρ με δούλη τυγχάνει τεκοῦσά τις*)، فالعثور على هذه الأم سيكون أسوأ من اللجوء للصمت (*εὐρεῖν κάκιον μητέρ' ἢ σιγῶντ' ἑαῖν*)، أي أن من الأفضل له أن يصمت ولا يبحث عن أمه التي

(١) بخصوص الصفة *καθαράν* (البيت ٦٧٣)، يعلق Walsh (*Birthright and Race in Euripides' Ion*, p. 305) أنها تشير إلى الحرية من التلوّث والذنس، وهذا المعنى البسيط امتد إلى المفهوم الأخلاقي عندما انتقد ايون قانون المحراب المقدس (البيت ١٣١٢ وما يليه).

(٢) يدعم Hoffer (*Violence in Euripides' Ion*, p. 314) إن ايون يرغب أن تكون أمه من أصل أثيني حتى يحصل على مبدأ مهم من مبادئ الديمقراطية: حرية الكلمة. انظر أيضا:

Kovacs, "Four Passage from Euripides' Ion", p. 123.

(٣) قارن: أفلاطون - الجمهورية (557 b vv. 4-5)، حيث يربط حرية الكلمة مع حرية الإنسان ومدينته الحرة: *ἐλευθερίας ἡ πόλις μεστή καὶ παρρησίας γίγνεται*

عن هذا الموضوع في مسرحية ايون، انظر:

K. Synodinou, *On the Concept of Slavery in Euripides* (The University of Ioannina 1977), p. 79.

(4) Huys, *The Hero who was exposed at Birth in Euripidean Tragedy*, p. 345.; Walsh, *Birthright and Race in Euripides' Ion*, pp. 304-305.

(٥) بخصوص الأبيات ١٣٨٢-١٣٨٣، يعلق Walsh (*Birthright and Race in Euripides' Ion*, p. 306) إن ايون يخاف أن يكتشف شيئا مخجلا وذنبا في بحثه عن أمه، ويعتقد أنه يجب عليه أن يتوقف عن البحث عن حقيقة أمه، فتمنّج كريبوما خير دليل على أن نبل الأصل لا يتبعه بالضرورة السعادة (٢٦٨)؛ فهي حسب مظهرها نبيلة الأصل (٢٣٨-٢٤٠)، وتتباهى بنسبها ومجد مدينتها (٢٦٢)، ولكنها كثيرة الدموع (٢٤١ وما يليه)، بسبب عقمها (٦١٩ وما يليه)

من الممكن أن تجلب له عار الفضيحة<sup>(١)</sup>. وهكذا يجبر الخوف من العار والأصل الوضع طفل السفاح على الصمت ويحرمه من حرية الكلمة والعمل<sup>(٢)</sup>.

وعندما تكشف كريوسا لابنها أنه ليس ابن زوجها كسوثوس وأنه جاء من رجل آخر من زفاف غير شرعي (الأبيات ١٤٧٠-١٤٧٢، ١٤٧٤-١٤٧٦)، يبدى مخاوفه أنه طفل غير شرعي وُلد بدون زواج (١٤٧٣، البيت ١٤٧٣)، وأنه من أصل وضيع (١٤٧٣، البيت ١٤٧٣، *πέφυκα δυσγενής*)، البيت ١٤٧٧. وتلعب التعبيرات *δυσγενής*، *νόθον* دوراً في تحديد التأثيرات السلبية للاغتصاب على طفل السفاح؛ حيث يصبح طفلاً غير شرعي من أصل وضيع يجلب له المهانة من المجتمع ولا يستطيع أن يمارس حقوقه بحرية. وهكذا نجد أن التفكير في الوضع الاجتماعي هو الموضوع المسيطر على ايون طوال أحداث المسرحية؛ فهو في صراع دائم بسبب وضعه الاجتماعي المتدنّي والذي يعتبر أهم التأثيرات السلبية التي يعانيها طفل السفاح الذي لا يعرف نسبه<sup>(٣)</sup>.

وحتى بعد مشهد التعرف مع كريوسا، يظهر ايون مخاوفه أيضاً من عار أمه (الأبيات ١٥٢١-١٥٢٧)؛ حيث يكشف لأمه عن شكوكه في قصة اغتصابها التي روتها له، ويبدأ حديثه بأنه يريد أن يقول لها كلمات في أنفها (*ἐς οὓς γὰρ τοὺς λόγους εἰπεῦν θέλω*)، البيت ١٥٢١، ويعدها بكتمان أعمالها (*περικαλύψαι τοῖσι πράγμασι σκότον*)، البيت ١٥٢٢. ترمز التعبيرات *περικαλύψαι σκότον*، *ἐς οὓς εἰπεῖν* المتعلقة بقصة والدته بحديث هامس ويجب أن تكون في طي كتمان الظلام. ثم يسأل ايون والدته هل سقطت في علاقة غير شريفة في السر (*κρυπτοὺς γάμους*)، البيت ١٥٢٤، مثلما تسقط العذاري (*σφαλεῖς ἀπαρθένοις*)، البيت ١٥٢٣، وألقت المسؤولية على الإله (*τῷ θεῷ προστίθης*)، البيت ١٥٢٦. فالشك يُعد أحد التأثيرات السلبية التي تلعب دوراً في توتر طفل السفاح بسبب فقدانه الثقة في الآخرين، فهو يشك في كل ما تقوله أمه عن نسبه، فحالة العبودية التي عاشها بعيداً عن والدته جعلته لا يصدق أنه ابن إله ومملكة أثينية<sup>(٤)</sup>.

(١) تعلق Synodinou (On the Concept of Slavery in Euripides, p. 91) بقولها إن خوف ايون من أن يكون لديه أم خادمة

قهر رغبته الجامحة لحل مشكلة نسبه. انظر أيضاً: Rosivach, The Parodos of the Ion, p. 292.

(2) Cairns, AIDOS, pp. 270-271, Huys, The Hero who was exposed at Birth in Euripidean Tragedy, p. 344, Synodinou, On the Concept of Slavery in Euripides, pp. 90-91, M. Wassermann, Divine Violence and Providence in Euripides' Ion TAPA 71 1940, p. 596.

(٣) عن الصراع النفسي لطفل السفاح بسبب وضعه في نظر المجتمع، في مسرحيات يوريبنديس بصورة عامة وفي مسرحية ايون بصفة خاصة، انظر:

Huys, The Hero who was exposed at Birth in Euripidean Tragedy, pp. 335-363, (Ion. pp. 343-346).

(٤) يدعم Huys (The Hero who was exposed at Birth in Euripidean Tragedy, pp. 99-100) هذا الرأي بقوله إن ايون في أغلب المشاهد يعد نفسه مجرد ثمرة علاقة جنسية بين اثنين من البشر (الأبيات ١٣٧٠-١٣٧١، ٣٢٥)، وحتى بعد مواجهة أمه (البيت ١٤٧٣)، وبعد أن صرحت بنسبه الإلهي (١٥٢٣-١٥٢٧)، مثلما يشك في الزواج الإلهي في قصة كريوسا عن صديقته المزعومة (الأبيات ٣٢٩، ٣٤١).

وهكذا تشير التعبيرات "κρυπτοὺς γάμους", "αἰσχρὸν" إلى العلاقة الواضحة بين الزواج غير الشرعى السرى والعار، وتأثير ذلك سلبيا على كل من الأم والأبناء.

وهكذا فى نهاية هذا البحث نستطيع أن نقول إن الاغتصاب يُعد جريمة عنيفة لها تأثيراتها السلبية على ضحية الاغتصاب وطفلها. فبالنسبة للفتاة تعيش حياة الخوف والذل والخجل والتردد والتوتر النفسى، الذى سببه لها القهر الرجولى وظلم التقاليد الاجتماعية التى تنتظر لضحية الاغتصاب بنظرة سيئة تصل إلى حد الاتهام بسوء السلوك، فتعيش حياتها فى قهر وكبت نفسى قد يودى إلى الانفجار وارتكاب جرائم فى حق نفسها أو فى حق الغير. فمشاعر الخوف من عار الفضيحة قد تدفعها إلى قتل طفلها السفاح. وحتى لو عاش هذا الطفل، فإنه يعيش أيضا فى وحدة وحرمان وظلم بسبب نظرة المجتمع له، فوضعه الاجتماعى المتمدنى لعدم هويته يجعله يفقد حقوقه المدنية مثل حرية الكلمة والعمل، ويعيش فى عبودية نسبه الدنس، ويعانى فى دائرة ظلام خجله من عار والدته ضحية الاغتصاب.

فريد حسن الأنور

faridelanwar@yahoo.com

